

تفسير السجدة

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ .

امتداداً لمحاولات تلبيس الروايات ثوب الشرعية فقد ذهب بعض المتتمذهبين إلى أن المقصود من هذه الآية أن الله قد أرى الرسول ﷺ شيئاً آخر بخلاف القرآن ، ليكون المعنى النهائى عندهم هو :

” وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالسُّنَّةِ ” !!

ولبيان عدم صحة ما ذهبوا إليه ، وأن معنى الآية بخلاف ما قالوه فنقول :

الحقيقة الأولى : معنى " أراك الله "

● فذحن إذا ما تأملنا الآية فسندجد أنها قد افتتحت بالنصّ على أن الله تعالى قد أنزل الكتاب على رسوله بالحق ليحكم بين الناس بما علمه الله منه ، فهو نصّ نحتج نحن به . أما قوله تعالى :

﴿ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾

فتعنى : بما علمك الله ، أى : بما علمك الله من هذا الكتاب .

● وذلك كقوله :

﴿ وَأَرْنَا مَنْسِكَنَا ﴾ (١١٧) .

١١٧- سورة البقرة (٢) البقرة : ١٢٨ .

أى علمنا مناسكنا .

● وكما جاء أيضاً فى قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ (١١٨) .

أى ولو يعلم الذين ظلموا عندما يشاهدون العذاب ويعاينونه أن القوة لله جميعاً .

● وكما جاء فى قوله تعالى :

﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْآتَهُ أَخِيهِ ﴾ (١١٩) .

أى ليعلمه كيف يؤارى سؤة أخيه .

وهكذا نجد أن كلمة أراك فى الآية لاتدل على شيء مخصوص قد تعلمه النبى بخلاف القرآن ، وإنما تعنى : بما علمك الله من هذا الكتاب .

❦ حقيقة الثانية : الكتاب هو الحكم بين كل الأمر ❦

الآية التى نتناولها فيها الكلام عن إنزال الكتاب بالحق على الرسول ﷺ ، وهذا تناولناه فى الفصل الأول ، وفيها الحكم بين الناس ، وفيها الإشارة إلى ما علمه الله للرسول .

● وبمطالعة الآيات التى تتكلم عن الحكم بين الناس فسنجد أن الله تعالى قد أنزل الكتاب منذ قديم الأزل ليقوم الرسل والأنبياء فى كل مكان وزمان بالرجوع إليه ليكون الفيصل فى الحكم بين الناس .

١١٨ - سورة (٢) البقرة : ١٦٥ .

١١٩ - سورة (٢) البقرة : ١٦٥ .

● ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ كَانِ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ الذَّبِيَّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ . . ﴾ (١٢٠) .

الذى يبين نصاً أن الكتاب هو الذى يحكم بين الناس .

● ومثله قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (١٢١) .

الذى يبين نصاً أيضاً أن الله قد أمر أهل الكتاب أن يحكموا الكتاب بينهم .

● وقوله تعالى :

﴿ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٢٢) .

الذى يوضح استنكار الله تعالى على اليهود كونهم يزعمون الإيمان بالتوراة ثم يحتكمون لمن لا يؤمنون به ﷺ ولا بكتابه ﷻ ، مع علمهم أن التوراة فيها حكم الله .

● وقوله تعالى :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا الذَّبِيَّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيَّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُونِي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١٢٣) .

١٢٠ - سورة (٢) البقرة : ٢١٣ .

١٢١ - سورة (٣) آل عمران : ٢٣ .

١٢٢ - سورة (٥) المائدة : ٤٣ .

١٢٣ - سورة (٥) المائدة : ٤٤ .

الذى يوضح بالنص أن التوراة المنزلة من الله هي الحكم بين الذين هادوا ، مع تحذيرهم بأن تركها كفر .

● وكذلك جاء النص على أن القرآن المنزل من عند الله هو الحكم بين الناس ، وذلك كقوله تعالى :

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ (١٢٤) .

● وكذلك قوله **تَبَارَكَ** :

﴿ وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (١٢٥) .

● وكذلك قوله **تَبَارَكَ** :

﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عَزَيْتُمْ مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ يَقِصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ (١٢٦) .

● وكذلك فى قوله **تَبَارَكَ** :

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ (١٢٧) .

ينص الله تعالى على أنه هو سبحانه الحكم ، وهو الذى أنزل الكتاب مفصلاً لكي يكون الحكم بين المؤمنين به .

● ومثله قوله **تَبَارَكَ** :

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ (١٢٨) .

١٢٤ - سورة (٥) المائدة : ٤٨ .

١٢٥ - سورة (٥) المائدة : ٤٩ .

١٢٦ - سورة (٥) المائدة : ٥٧ .

١٢٧ - سورة (٦) الأنعام : ١١٤ .

١٢٨ - سورة (١٣) الرعد : ٣٧ .

الذى يوضح نصاً أن القرآن هو الحكم !
والآيات غير ذلك موجودة ، وكلها تفيد نفس المعنى ، ولم يحدث
أن نصت آية واحدة على مصدر مخالف للقرآن يحتكم إليه المؤمنون ،
وإنما هو كما نرى هنا .

❦ الحقيقة الثالثة : الكتاب هو ما تعلمه الرسول ❦

● إذا ما طالعنا الآيات التى تتكلم عن ماهية الذى تعلمه الرسول من
ربه فسنجد أن المُنزَّل على الرسول ﷺ سماه الله بالعلم :

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ
الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ (١٢٩) .

والذى ذُكر أن الرسول تعلمه بنص الكتاب هو القرآن المنزل بلسان
عربى مبین :

﴿ وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ
أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (١٣٠) .

والذى ذُكر أن الله يُعَلِّمُهُ هو القرآن :

﴿ الرَّحْمَانُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ (١٣١) .

● ومن البديهي أن ما تعلمه النبى يعلمه للمؤمنين ، ويكون هو
موضوع الدراسة بعد ذلك :

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ
كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلَّمُونَ

١٢٩ - سورة (١٣) الرعد : ٣٧ .

١٣٠ - سورة (١٦) النحل : ١٠٣ .

١٣١ - سورة (٥٥) الرحمن : ١ - ٢ .

الْكِتَابَ وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿١٣٢﴾ .

ونفس الشيء في قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ
وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأَخْرَىٰ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١٣٣) .

وكذلك في قوله تعالى :

﴿ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴾
(١٣٤) .

نجد أن الكتب هي محل الدراسة . وأيضا :

﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴾ (١٣٥) .

إذن فنصوص القرآن كلها كما رأينا ، ويتبقى كشف زيف تأويلهم
بالدليل العقلي .

❦ الحقيقة الرابعة : الأدلة العقلية على أن الكتاب هو الحكمة ❦

فلو كان معنى الآية (كما زيفه المتمذهبون) هو أن يحكم الرسول بين
الناس بما أراه الله من علم خاص بخلاف الكتاب أو بجانبه لكنا بين
واحدة من اثنتين :

● فإما أن يُقال : إن المقصود هو وأنزلنا إليك الكتاب لتحكم به
وبغيره . ثم هذا الغير بعد ذلك لم يُدَّصَّ عليه ولا مرة واحدة على مدى
آلاف الآيات !!

● وإما أن يُقال : وأنزلنا إليك الكتاب لتحكم بغيره . . فهل يقول

١٣٢ - سورة (٣) آل عمران : ٧٩ .

١٣٣ - سورة (٧) الأعراف : ١٦٩ .

١٣٤ - سورة (٣٤) سبأ : ٤٤ .

١٣٥ - سورة (٦٨) القلم : ٣٧ .

بهذا عاقل!؟

وفى كلتا الحالتين لم يعد هناك معنى لذكر إنزال الكتاب ، وكان
يكفى أن يقال : احكم بينهم بما أراك الله . . . !

سلمنا (جدلاً) أن معنى الآية كما قلت ، وأن الحكم بين الناس لكى
يكون عدلاً وشرعاً سيكون بالكتاب والروايات :

فأى الروايات يا ترى سيحكم بها الخلف ليكون حكمهم مطابقاً
لحكم النبى!؟

هل ما صح من روايات عند المالكية ، أم الحنفية ، أم الشافعية ، أم
الحنابلة ، أم الظاهرية ، أم الأوزاعية . . .!؟

بل أى خلف الذين سيكون حكمهم مطابقاً لحكم النبى!؟

هل هم الرواة من أئمة السنية ، أم الرواة من أئمة الشيعة!؟

أم أن الله وحاشاه قد اكتفى بأن يكون الحكم الصحيح أيام النبى
فقط ، ورضى بأن تتعدد الأحكام فى القضية الواحدة عند الخلف!؟!

أم أن الله أراد أن تكون المرأة مطلقة فى هذا المذهب وغير مطلقة فى
ذاك ، وأن يقتل الرجل فى هذا البلد ، ويُترك فى غيره!؟!

وإذا كان الله قد أرى رسوله شيئاً بخلاف الكتاب ليحكم به ، فلماذا
لم يحفظه لكى يسهل على الناس الوصول للحق فيما بينهم!؟!

وهل الروايات التى فيها الانتقاص لله وللائكته وكتبه ورسوله بل
وللرسالة كلها وبأصح الكتب عند الفريقين يمكن أن يقال إنها من
المقصود فى الآية مما أراه الله للنبى!؟!

فإذا لم تكن منه فكيف سيقال عن هذه الكتب إن الحق يختلط
فيها بالباطل ، وإن منها يتم الحكم بين الناس بما أنزل الله!؟!

سلمنا (جدلاً) أن الحق والباطل فى هذه الكتب ، وأن على القاضى

أن يبحث أولاً عن الحق لميزه عن الباطل !!

وسلمنا (جدلاً) أن الله (وحاشاه) سيشرع شرعاً يختلف من زمان إلى زمان ، ومن مكان إلى مكان ، فأين موقع الكتاب فيه ؟!

وهل يكون للكتاب أية أهمية فى ظل ذلك الكم الهائل من الروايات (والتي تختلف من مكان إلى مكان ، ومن زمان إلى زمان ، بل وفى المكان الواحد والزمان الواحد ، وداخل المبنى الواحد) ؟!

سلمنا (جدلاً) أن الكتاب يلى الروايات فى الأهمية (وهو الحادث عند أهل المذاهب) فلماذا ظل الله تعالى ينصّ عليه طوال مئات الآيات فى الوقت الذى أهمل فيه ذكر الروايات ولو لمرة واحدة ؟!

أف لعقولكم ولما تفترون !

والخلاصة لما سقناه هنا هو :

أن الاستدلال بالآية التى تناولناها هنا لإثبات عدم كفاية القرآن قد بُنى على جهل بمعنى الآية .

وأن كوكبة الآيات التى سقناها تنصّ على أن القرآن هو كتاب الله ، أنزله على رسوله ﷺ ليحكم به بين الناس بما تعلمه الرسول منه .

وأن هذا كان هو شأن كل كتب الله فى كل زمان ومكان .

وإلى الآية التالية :

